

مساهمات الأندلسيين

والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام

د. علي أحمد

فالحديث عن المساهمات الأندلسية والمغربية في المعارك ضد الصليبيين في الشام ومصر، لابد من القول بادئ ذي بدء، إن الذين اشتركوا في هذه المعارك من الأندلسيين والمغاربة، كانوا مقيمين في مصر والشام، ولم يكونوا قد قدموا من الأندلس والمغرب لهذا الهدف كما قد يتراءى للبعض لأول وهلة. وهنا يمكن أن يُطرح السؤال التالي، هل كان في المشرق ولا سيما في الشام ومصر في فترة الحروب الصليبية مغاربة وأندلسيون مقيمون بصورة دائمة؟ للجواب عن هذا السؤال، لابد من القول، أن نسبة كبيرة إلى حد ما من الأندلسيين والمغاربة هاجرت إلى المشرق وصورة خاصة إلى مصر والشام، واستقرت حيث طاب لها الاستقرار والحياة. فما سبب هجرة هؤلاء من الأندلس والمغرب؟، وما هي العوامل التي شغلت دوراً فعالاً في اجتذاب واستقطاب هؤلاء المغاربة والأندلسيين إلى الشام ومصر؟

يمكن تقسيم وبحث هذه الأسباب والعوامل إلى قسمين، نبحث في القسم الأول وبشكل موجز الأسباب القاهرة، التي أجبرت عدداً كبيراً من الناس على مغادرة الأندلس، حيث توجهوا إلى المغرب والمشرق في وقت واحد، ثم بعد ذلك كان بعض من وصل منهم إلى المغرب، يتركها لأسباب اقتصادية ويتوجه إلى بلدان المشرق العربي وهكذا حتى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ونبحث في القسم الثاني العوامل الجاذبة، التي شجعت هؤلاء المهاجرين على الإقامة في أرض الشام ومصر وبقية أجزاء الوطن العربي الكبير.

فمنذ نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وقبل ذلك بقليل بدأت تظهر على الساحة العربية في الأندلس عوامل جديدة، اتسمت في معظمها بالسلبية شبه المطلقة، ويقصد بهذه العوامل مجموعة الاضطرابات والتبدلات السياسية، التي حدثت على الصعيد الداخلي في الأندلس، وأيضاً تلك الأخطار التي أحْدَقَتْ بالأندلس وسكانها من جراء الهجمات الإسبانية الفاعلة. فالاضطرابات الداخلية وعوامل عدم الاستقرار، أضحت عناوين مزعجة للعرب المسلمين في الجناح

الغربي من ديار العرب والإسلام، ولا سيما خلال الفترة التي تلت نهاية العقد التاسع من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. فقبل هذه الفترة على سبيل المثال لم تكن الأندلس قد عانت من مثل هذه الاضطرابات، التي اتسمت بالقلق والتأثير على السكان، مما أدى إلى ظهور مجموعة كبيرة من الناس، لم يكن أمامها من خيار سوى الرحيل عن أرض الوطن إلى غير رجعة. فقد سقطت دول الطوائف نهائياً في الأندلس، وقامت على أنقاضها دولة المرابطين من سنة ٤٨٥-٥٤١هـ/ ١٠٩٢-١١٤٦م، وخلفتها دولة الموحدين التي حكمت فترة لا بأس بها استمرت من سنة ٥٤١-٦٦٨هـ/ ١١٤٦-١٢٧٠م.

وهذا التبدل في الدول كان يترافق بتبدل عقائدي، الأمر الذي أثر على فئة ليست قليلة من الشعب الأندلسي، وكونت طبقة معارضة للحكم في عهد المرابطين والموحدين على حد سواء. وهذه التبدلات العقائدية لم تتخذ شكلاً واحداً فقد تبلورت في اتجاهين رئيسيين، الأول ظهر بالولاء السياسي من قبل فئة من الأندلسيين لبعض دول الطوائف. وهذا ما ظهرت نتائجه غداة سيطرة المرابطين على الأندلس.. الاتجاه الثاني ظهر من خلال التبدل على صعيد العقيدة الدينية نفسها عندما سقطت دولة المرابطين على أيدي الموحدين، فبينما كانت حركة المرابطين حركة فقهية مالكية مثلها الأعلى تطبيق الشرع الإسلامي وفق أحكام المذهب المالكي، كانت حركة الموحدين تجمع كل تيارات الفكر الإسلامي المعاصر"¹.

وهكذا فبعد أن سيطر المرابطون على الأندلس، ظهر في المجتمع الأندلسي فئة من الناس، تدين بالولاء السياسي للحكم البائد، الذي تمثل بحكام الطوائف وكذا الحال بالنسبة للمرابطين، عندما ظهر لهم مؤيدون، لم يتمكنوا بتأثير ولائهم من الاستمرار في ظل الدولة الموحدية. وقد شكل هؤلاء المعارضون مجموعة تضررت مصالحها العامة أكثر من غيرها. يضاف إلى كل ذلك أن عوامل الاستقرار في الأندلس منذ زوال الخلافة الأموية، لم تكن مدعاة للثقة والاطمئنان بشكل كامل، بحيث يمكن القول إن عوامل الاستقرار، كانت هشة الأسس والبنیان، بفعل الحروب التي كانت شبه مستمرة بين الدول والمعارضة في عهد المرابطين والموحدين على حد سواء. والأمثلة كثيرة في مجال التأثير من جراء تعاقب الدول وتبدلها على الساحة الأندلسية، أذكر منها على سبيل المثال والد أبي بكر بن العربي، الذي كان أحد الرجال الأقطاب المعروفين في إشبيلية، والذي غادرها على أثر سقوط دول الطوائف خوفاً من المرابطين^{١٠}. وعند سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين، كان من الطبيعي نزوح من ينتمون للأسرة الحاكمة سابقاً، كما هو حال أمين الربوة، الذي تحدث عنه الرحالة الأندلسي ابن جبير عند زيارته لمدينة دمشق في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بصورة وكأنه يشعر بمسؤولية الحاكم تجاه رعاياه، فيحاول تدبير أمور القادمين من الأندلسيين، الذين أصبحوا بدون أرض ولا مأوى فيقول: "والأمين فيها أي الربوة من بقية المرابطين ومن أعيانهم يعرف بأبي الربيع سليمان بن إبراهيم بن مالك، وله مكانة من السلطان ووجوه الدولة، وله في الشهر خمسة دنائير حاشا فائدة الربوة، وهو متسم بالخير ومرتسم به، وهو متعلق بسبب من أسباب البر في إيواء

أهل المغرب من الغرباء المنقطعين بهذه الجهات، يسبب لهم وجوه المعاش من إمامة في مسجد أو سكن بمدرسة، تجري عليه فيه النفقة، أو التزام زاوية من زوايا المسجد الجامع، يجبى إليه فيها رزقه، أو حضور في قراءة سبع، أو سدانة مشهد من المشاهد المباركة يكون فيه، ويجري عليه بما يقوم به من أوقافه، إلى غير ذلك من الوجوه المعاشية على هذه السبيل المباركة مما يطول شرحه^{١٢٣}.

ولعل أوضح مثال على الحالة السياسية وتبدل الدول، هو ما جاء على لسان الوهراني بعد سقوط دولة المرابطين بقوله: "لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي ألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذہبات الشعر بضاعتي ومن أخلاق الأدب رضاعتي..."^{١٢٤} وقد عبر الوهراني عن كرهه الشديد للموحدين من خلال جوابه على سؤال حول رأيه في عبد المؤمن بن علي الموحدي وأولاده وسيرته ببلاده فقال: "مؤيد من السماء، خواض للدماء، مسلط على من فوق الماء، حكم سيفه في المعمم، وأعمه في رقاب الأمم... ولو أن للعلم لساناً والورقة إنساناً لتألمت وتظلمت ولأنشدتك في الملا قول الشيخ أبي العلا:

جلوا صارما وتلوا باطلا
وقالوا صدقنا فقتلنا نعم

ولكن السكوت على هذا أرجح ومسالمة الأفاعي أنجح^{١٢٥}.

من هذه الأمثلة يظهر بوضوح مدى تأثير الولاء السياسي، وعدم قدرة أصحابه على مسيطرة التطورات الجديدة أو القبول بالأمر الواقع. وبعد أن تسلم الموحدون مقاليد الحكم في الأندلس والمغرب، حدث الشيء نفسه، وكان لا يقل في حال من الأحوال عن الذي حدث من جراء التبدل السياسي، ذلك لأن الموحدين اختلفوا عن المرابطين على صعيد العقيدة الدينية. فقد نظر الموحدون إلى الذين خالفوهم على صعيد العقائد والمبادئ نظرة معادية، اتسمت بالحق والكراهية، فعاملوهم بقسوة بالغة مما أثار لدى البعض منهم موجة من الذعر والخوف، وصلت إلى درجة قريبة من الجنون والخبيل، كما حدث لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن فيرة القرطبي، الذي وصف المقرئ أحواله في كتاب نفع الطيب بقوله: "وخرج في الفتنة بعدما علا ذكره في قرطبة، وأقام بالإسكندرية خوفاً من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال، كأني والله بمراكبهم قد وصلت إلى الإسكندرية ثم سافر إلى مصر، وأقام بها مدة ثم قال: فوالله ما مصر والإسكندرية بمتباعدتين، ثم سافر إلى الصعيد، وحدث بقوص بالموطأ ثم قال: والله ما يصلون إلى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد، فمضى إلى مكة وأقام بها ثم قال: ويصلون إلى هذه البلاد ولا يحجون، ما أنا إلا هربت منه إليه، ثم دخل اليمن، فلما رآها قال: هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن، فتوجه إلى الهند حيث أدركته منيته بها سنة ٥٥١هـ/١١٤٧م وقيل مات باليمن^{١٢٦}.

ولم تكن هذه العوامل التي ذكرناها حتى الآن، والتي يمكن أن نسميها عوامل الطرد الداخلية، لم تكن تقاس بتلك العوامل الخارجية، التي حصلت بفعل التقدم الإسباني الجاد والمنظم باتجاه معاقل العرب المسلمين في الأندلس، والاستيلاء عليها واحداً تلو الآخر وبشكل نهائي فلم تأت سنة

١٢٦١م حتى وقعت جميع المدن الأندلسية تقريباً تحت وطأة الاحتلال الإسباني، فقد استولى الإسبان على لوشة وماردة وبطليوس وقرطبة وشاطبة وبلنسية ومرسية وإشبيلية وعلى شلب وطلبيرة. وهكذا لم يبق بيد العرب المسلمين غير غرناطة وضواحيها تحت حكم بني الأحمر. وليت الأمر توقف على الاحتلال فحسب، بل تبعته إجراءات قاسية، حيث فرضت على كل من أثر البقاء من العرب المسلمين في مدنهم شروطاً بلغت حدّاً من الإهانة والشراسة، لا يطاق بأي حال من الأحوال، فقد أجبروا على وضع إشارة على ثيابهم تميزهم عن غيرهم من السكان، وأنه لا يجوز لمسلم أن يستخدم مسيحياً على الإطلاق، ومن يخالف هذا الأمر تصادر أملاكه، ومن يفر منهم إلى بلاد المسلمين، يُعد أسيراً في حال القبض عليه، وبالتالي يصبح ملكاً لمن قبض عليه من الإسبان إلى غير ذلك من إجراءات ظالمة وغير إنسانية".

وبتأثير هذه العوامل مجتمعة أصبحت الهجرة جماعية أكثر من أي وقت مضى، وهذا ما يظهر بجلاء من خلال تتبع الأندلسيين، الذين وفدوا إلى المغرب، أو الذين وفدوا إلى المشرق العربي، وذلك في الفترة التي تبدأ من نهاية الثلث الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ففي هذه الفترة كثرت أعدادهم بشكل لافت للنظر، لا يمكن مقارنته بما حدث في الفترة السابقة، وبخاصة على صعيد بلاد الشام ومصر موضوع هذا البحث.

ومهما يكن الأمر، فقد أدت هذه العوامل إلى نتيجة واحدة، تجلت بضياغ الجزء الأكبر من أرض العرب والإسلام في الأندلس، وبالتالي تشريد وإجبار أعداد كبيرة من الأندلسيين على النزوح عن أرضهم إلى بلدان عربية وإسلامية متعددة، ولا سيما مدن وحوضر المشرق وبخاصة مصر والشام. وعندما اقتصر حكم العرب في الأندلس على غرناطة وضواحيها، فإن من التجأ إليها أو من كان فيها من العرب، لم يكونوا في مجموعهم ينعمون بالاستقرار الحقيقي الكامل، إنما غلب القلق وعدم الاستقرار على حياتهم العامة، بسبب الحروب التي لم تنقطع تقريباً بينهم وبين الإسبان، وكانت نتائجها تتراوح بين حالة المد والجزر حتى سقوطها في السنوات الأخيرة من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، لذلك فقد كان النزوح منها مستمراً بتأثير هذه العوامل.

وفي مقابل هذه العوامل السلبية القاهرة، التي حدثت على الساحة الأندلسية بشكل خاص، كانت عوامل مشجعة وإيجابية في كل بلدان المشرق العربي، ساعدت المهاجرين المغاربة والأندلسيين على الإقامة والعيش بأمان واطمئنان، مثلهم في ذلك مثل السكان الأصليين. فقد توجه المهاجرون الأندلسيون والمغاربة إلى جميع بلدان المشرق العربي لكن هجرتهم كانت أنشط وأكبر باتجاه مصر والشام، لأن جميع العوامل الطبيعية والسياسية والإقتصادية والثقافية وربما النفسية، كانت أكثر ملاءمة وتوافقاً لسكن وإقامة هؤلاء المهاجرين في ربوع هذه البلاد الطيبة. وسبب ذلك على سبيل المثال، أن مصر كانت تقع على طريقهم الرئيسة إلى الحج، هذا بالإضافة إلى غنى وتوفير الموارد المختلفة، التي تمكن من حرية الاختيار في السكن والإقامة في أية بقعة من بقاعها، يضاف إلى هذا أن مصر أصبحت منذ أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي مستقر إقامة

الجهات من الغرباء للانفراد يلتزم إن أحب ضيعة من الضياع، فيكون فيها طيب العيش ناعم البال، وينهال الخير عليه من أهل الضيعة، ويلتزم الإمامة أو التعليم أو ما شاء ومتى سئم المقام خرج إلى ضيعة أخرى...^{١٦} ويتابع قوله: "...فهذا الشرق بابه مفتوح لذلك، فادخل أيها المجتهد بسلام، وتغنم الفراغ والانفراد قبل علق الأهل والأولاد، ولو لم يكن بهذه البلاد الشرقية كلها، إلا مبادرة أهلها لإكرام الغرباء وإيثار الفقراء ولا سيما أهل باديتها، فإنك تجد من يبادر إلى كرم الضيف عجباً، كفى بذلك شرفاً لهم"^{١٧} وبالجملّة فقد ساعدت جميع العوامل السابقة الذكر الأندلسيين والمغاربة وأثّرت بهم بشكل جعلهم يقبلون على بلدان المشرق وبخاصة مصر والشام وبصورة مستمرة. وقد عملوا خلال وجودهم في المشرق في شتى مجالات الحياة العامة دون استثناء مثلهم في ذلك مثل بقية سكان المنطقة الأصليين. وانطلاقاً من ذلك فلم يكونوا بعيدين عن المعارك التي خاضها العرب المسلمون ضد الصليبيين وغيرهم. ومسألة اشتراكهم في الحرب وبخاصة ضد الصليبيين، تبدو من المسائل الصعبة جداً ولا سيما أنهم كانوا في حروب شبه دائمة مع المسيحيين قبل أن تنشب الحروب الصليبية في المشرق^{١٨}. لكن المؤرخين لم يسيروا إلى هذا الاشتراك بشكل مباشر بمعنى لم يتحدثوا عن مجموعة معينة منهم شاركت بشكل مستقل عن الجيش الشامي وكل ما كتبوه حول هذا الموضوع، اقتصر على ذكر حوادث فردية باستثناء واحدة سنأتي على ذكرها في السطور التالية، والتي سيظهر من خلالها، أن الأندلسيين والمغاربة، اشتركوا بمجموعات كبيرة إلى حد ما، ومشاركتهم ضد الصليبيين في الحرب ومن بعدهم التتار، لم تكن على صورة واحدة فحسب، بل قام بعضهم بتقديم المال لتجهيز عدد من المقاتلين إلى غير ذلك. ولعل أشهر الحوادث المعروفة عن الأندلسيين والمغاربة في هذا الميدان، تعود إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي فعندما حاول الصليبيون احتلال مدينة دمشق سنة ٥٤٣هـ/١١٤٩م اجتمع أهلها لتدارس الطرق والأساليب الناجعة، من أجل الدفاع عن مدينتهم، فكان يوسف بن دوباس المغربي العندلاوي أشدهم حماساً واستعداداً لخوض الحرب، من أجل أن تبقى دمشق عزيزة نظيفة من دنس المعتدين، وذلك على الرغم من تقدمه في السن. وقد اندفع للقتال غير عابئ بالنصيحة، التي قدمها له حاكم دمشق معين الدين أنر بعدم الاشتراك في الحرب. وكان رده رائعاً جسد من خلاله العزم والتصميم، عندما خاطب حاكم دمشق قائلاً: "قد بعت واشترى فوالله لا أقيله ولا أستقبله وتلا الآية الكريمة: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم" وقد ظل يقاتل رحمه الله، حتى استشهد بأرض النيرب بالقرب من الربوة، وحمل جثمانه الطاهر إلى مقبرة باب الصغير حيث دفن"^{١٩}.

ويلقب بأبي الحجاج المغربي، قدم الشام وسكن بلدة بانياس في محافظة القنيطرة العربية السورية مدة، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها ودرّس بها على مذهب الإمام مالك بن أنس، وحدث بكتاب الموطأ وغيره، وقد وصف بأنه شيخ حسن المفاكهة، حلو المناظرة، كريم النفس، قوي القلب، صاحب كرامات.

وقد قيلت فيه أشعار كثيرة نختار منها ما قاله ابن الحكم الأندلسي:

بشط نهر داريا	أمور ما تواتينا
أتانا مائتا ألف	عديدا أو يزيدونا
ورايات وصلبان	على مسجد خاتونا
فقتنا إذ رأيناهم	وقد جاعوا يريدونا
وشيوخا فندلاويها	فقيهها يعضد الدينا
ولكن غادروا القسيس	تحت الأرض مدفونا ^{٢٠}

ويعد الفندلاوي من الشخصيات المغربية، التي طار ذكرها، وخلد على صعيد مدينة دمشق، فقد ذكر الذهبي من مؤرخي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، أن قبره على عهده، كان ما يزال يقصد بالزيارة والتبرك على الرغم من مضي أكثر من مئتي عام على وفاته^{٢١}.

ولدينا دليل أكثر وضوحاً وأكبر أهمية على صعيد اشتراك الأندلسيين والمغاربة في الحرب ضد الصليبيين، ويتجلى هذا الدليل بالملاحظة التي دوتها الرحالة ابن جبير الأندلسي خلال زيارته لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن السادس الهجري. ويبدو أن هذا الاشتراك، لم يكن قد اقتصر على فرد بعينه، بقدر ما كان على شكل مجموعة كبيرة العدد، الأمر الذي جعل الصليبيين يلجؤون إلى اتخاذ إجراءات مضادة للأندلسيين، تجسدت بفرض ضريبة عليهم دون غيرهم، وذلك جزاء اشتراكهم مع العرب المشاركة ضدهم. يقول ابن جبير عندما زار حصن تبنين: "وكان مكاناً لتمكيس القوافل.. ولا اعتراض على غيرهم. وسببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين أحد الحصون، فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية، ألزموها رؤوسهم، فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم. وقال الإفرنج: إن هؤلاء المغاربة، كانوا يختلفون على بلادنا، ونسالهم ولا نرزوهم شيئاً، فلما تعرضوا لحربنا، وتألّبو مع إخوانهم المسلمين علينا، وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم. فللمغاربة في أداء هذا المكث سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو يسهله عليهم ويخفف عنهم^{٢٢}".

ويستمر اشتراك الأندلسيين والمغاربة في الفترة، التي تلت انتهاء حكم نور الدين زنكي ويمكن القول إن أعدادهم ازدادت بشكل كبير على عهد صلاح الدين الأيوبي، فظهرت مشاركتهم على وجهين، الأول كمحاربين أساسيين، والثاني كمرافقين للجيش يقومون بتقديم الخدمات المختلفة، التي لا تقل عن غيرها في ميدان الحرب. مثال الوجه الأول، الحادثة التي ذكرها العماد الكاتب الأصفهاني في كتابه الموسوم بـ(الفتح القسي في الفتح القدسي) حيث يظهر من خلالها قيمة الدور الذي شغله هؤلاء المغاربة على الصعيد العسكري، كمقاتلين أشداء نذروا أنفسهم لتنفيذ مهمات في غاية الخطورة. ففي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وفي أثناء حصار العرب المسلمين لمدينة عكا، جاء رسول من

عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد بتعمير زاوية بأعلى الحارة أنفق عليها من ماله، ووقفها على الفقراء والمساكين سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م وإذا كان عمل الأفضل هذا تجاه المغاربة نوعاً من المكافأة على خدماتهم في جيش أبيه فإن ظروفه فيما بعد وفاة أبيه، تجعل الاعتقاد أنه فعل ذلك بدافع من الاستعانة بقوتهم العسكرية للدفاع عن القدس. فالمدينة فقيرة ولا تكفي وارداتها وواردات الأراضي التابعة لها للقيام بكلفتها، مما أدى إلى تخصيص ثلث وارد إقطاع نابلس لها. وكذلك فإن ضياء الدين بن الأثير وزير الأفضل أقنعه بالتنازل عن القدس، لأسباب منها التخلص من النفقة عليها، لكن المكانة الدينية للمدينة جعلها قوة معنوية لمن تتبعه. وربما كان هذا أيضاً من جملة الأسباب، التي جعلت نواب الأفضل في فلسطين العربية، وفي مقدمتهم عماد الدين بن المشطوب مقطع نابلس يعرضون على سيدهم الرفق، ويتعهدون بالقيام بأودها وأود رجالها كما أنها كانت حتى ذلك الوقت هدفاً رئيساً للصليبيين، وكان بيدهم رأس جسر مناسب للهجوم عليها، يتمثل في ميناء عكا الحصين، وكان على الأفضل والمشيرين عليه والمحيطين به أخذ هذا التهديد بعين الاعتبار، خاصة وأن الأفضل لم يكن حاكم الإمبراطورية الأيوبية فعلياً كأيّيه، بل إن سلطانه اقتصر على الشام بكل ما حفلت به آنذاك من عوامل تمنع من قيام سلطة مركزية بها، كما أنها كانت عاجزة عن تمويل جند كثيف، فقد كانت غير قادرة على تمويل أكثر من أربعة آلاف جندي نظامي. وبهذه القوة الضئيلة كان عليه مجابهة الخطر الصليبي، وكذلك خطر أفراد أسرته المستضعفين له وكان أخوه العزيز صاحب مصر على رأسهم في الظاهر. وضمن هذه الأوضاع يبدو منطقياً الافتراض بأن الأفضل كان يرى في المغاربة والأندلسيين قوة عسكرية مناسبة، يمكن أن يفيد منها في الدفاع عن القدس على الأقل.

ومما يؤكد اشتراك المغاربة بالحرب مع صلاح الدين في معارك التحرير في حال غياب الإحصاءات الدقيقة، أن هؤلاء المغاربة هم كالكثر من الشاميين والمصريين، الذين شاركوا بهذه الحرب من غير الجيش النظامي، الذي لم يكن يشكل كل القوة المحاربة ولا حتى النسبة العددية الأكبر. فقد بين الإنكليزي جب، أن عدد الجند النظامي لدى جيش صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين، لم يكن يتجاوز الأربعة عشر ألف مقاتل^{٢٧}. أما المحاربون الآخرون فكانوا متطوعة ومتصوفة مع أتباعهم، ومنهم الأندلسيون المغاربة من غير المؤهلين للحرب بشكل نظامي مرتب. ولم يكن الإفرنج على ما يبدو غافلين عن هذه القيمة أو المكانة التي يشغلها المغاربة عند حكام الشام. فقد حدث في سنة ٦٢٦هـ/١٢٣٠م أن حمل عدد كبير من أسرى جزيرة ميورقة إلى الساحل العربي الشامي، حيث تم فكاهم وقدموا إلى دمشق. يقول أبو شامة في كتابه (الذيل على الروضتين) في صدد حديثه عن سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م: "في هذه السنة جاء الخبر بأن الفرنج استولوا على جزيرة ميورقة، وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا كذلك، وقدموا بعض الأسرى إلى ساحل الشام، فاستفك منهم طائفة، فقدموا علينا دمشق وأخبروا بما جرى عليهم"^{٢٨}. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى التقدير الذي أظهره الأيوبيون للأندلسيين والمغاربة، لما قاموا به من أعمال مميزة ومخلصة خلال الحرب ضد الصليبيين، يضاف إلى ذلك، أنهم قوة جديدة تضاف إلى الموجودين القدماء.

وفي هذا الميدان يمكن أن نذكر أيضاً تلك الخدمات الجليلة، التي قدمها أطباء أندلسيون لصلاح الدين وجيشه وشعب الشام، الذي وقف كتلة واحدة شامخة ضد الصليبيين. فمنذ النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بدأ الأطباء الأندلسيون المشاهير يتوافدون إلى دمشق بعد أن سمعوا بمحاولات الصليبيين احتلالها، وكأنهم كانوا يشعرون أن من واجبههم وهم من بلاد اعتاد أهلها محاربة الصليبيين باستمرار، المساعدة في الدفاع عن دمشق وغيرها من بلاد الشام. من هؤلاء الأطباء أبو الحكم تاج الحكماء عبد الله بن المظفر الباهلي المولود بمدينة المرية في جنوب الأندلس أو بمدينة مرسية في شرق الأندلس سنة ٤٨٦هـ/١٠٧٦م وقد درس الطب بالأندلس وبمصر، حتى اشتهر به كطبيب معروف. وفي بداية أمره توجه إلى بغداد، وفيها شغل طبيب البيمارستان، الذي كانت تحمل عقاقيره وأدواته في المعسكر السلطاني على أربعين جملاً^{٣٩}، ولما سمع بتهديد الصليبيين لدمشق غادر بغداد، وأقام بدمشق، يداوي الناس بديكان عند باب جيرون بالقرب من المسجد الأموي الكبير حتى وفاته في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٥م^{٣٠} وكذلك فعل ابنه أبو المجد محمد بن عبد الله الباهلي الملقب بافضل الدولة، وتفوق على والده، فصار في علوم الطب من أحقق أطباء زمانه، الأمر الذي جعل نور الدين زنكي يعتمد كعموده كرسول أول عن إدارة البيمارستان، الذي أنشأه في دمشق خلال السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وقد أدى خلال حياته، التي انتهت في الربع الثالث من القرن السادس الهجري أو قبل ذلك بسنوات قليلة، خدمات رائعة في ميدان الطب، فقد كان عمله اليومي مقسماً إلى ثلاث فترات، خصص الأولى لزيارة مرضى البيمارستان سابق الذكر، وخصص الثانية لزيارة مرضى القلعة من الحكام وأتباعهم، وخصص الثالثة للتدريس في إيوان البيمارستان النوري^{٣١}.

كما قام الطبيب الأندلسي عمر بن علي البنوخ القلعي المتوفى بدمشق سنة ٥٧٩هـ/١١٨١م^{٣٢} بممارسة المداواة العامة، واختلف عن بقية زملائه من الأندلسيين بتصنيع الدواء وتحضيره بنفسه^{٣٣}.

ومن هؤلاء، الأطباء أيضاً عبد المنعم الجلياني نسبة إلى جليانة على مقربة من غرناطة في جنوب شرق الأندلس المتوفى بدمشق سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م. اشتغل منذ وقت مبكر في ميدان الطب والأدب، وتفوق فيهما بشكل ملحوظ، رحل إلى المغرب ومنها إلى بغداد، حيث اطلع على خزائن الكتب الطبية الفنية، ولما سمع بما يحدث في الشام من حرب ضد الأعداء الصليبيين، ترك بغداد متوجهاً إلى دمشق، حيث عمل طبيباً رئيساً في البيمارستان السلطاني في السفر والحضر أيام صلاح الدين الأيوبي، وظل هكذا حتى وافته المنية^{٣٤} وقد حظي عند صلاح الدين الأيوبي طبيباً أندلسياً آخر، هو يحيى البياسبي الملقب بأمين الدين. بعد أن ترك الأندلس، وصل إلى مصر واستقر فيها مدة قصيرة من الزمن توجه بعدها إلى مدينة دمشق، واستقر فيها بشكل نهائي. ويُعد البياسبي طبيباً أندلسياً درس الطب في بلاد الشام، حتى اشتهر وعلا ذكره، مما جعل صلاح الدين الأيوبي، يعتمد في قائمة أطبائه الرئيسيين، الذين رافقوه في أثناء غيابه عن مدينة دمشق لمحاربة الصليبيين^{٣٥}.

وقد قام ابن جببر الأندلسي خلال زيارته لمدينة دمشق سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥م بالدعاية لصالح الدين الأيوبي، لما يقوم به من أعمال جليلة لتحرير ما احتل من فلسطين، ولا سيما بيت المقدس من قبل الصليبيين، الأمر الذي ساعد على استقطاب جالية أندلسية للمحاربة ضد هؤلاء الأعداء^{٣٦}، وقد احتوت كتب الحديث النبوي الشريف كما هو معروف العديد من الأحاديث^{٣٧}، التي تنوه بمكانة فلسطين ولا سيما مدينة بيت المقدس، فقام الأندلسيون والمغاربة بعد احتلال بيت المقدس من قبل الصليبيين بالتذكير بهذه الأحاديث في كل مناسبة دينية وبخاصة خلال خطب أيام الجمع، الأمر الذي ولد في النفوس شعوراً قوياً في الرغبة لزيارة بيت المقدس والمساهمة في تحريرها، وهذا الشعور كان سائداً في الأندلس والمغرب قبل ذلك، لكنه بعد الاحتلال الصليبي للقدس وبعض مدن فلسطين الأخرى، أصبح أقوى من ذي قبل، وغدت قدسيته هي الأخرى أعظم من أية فترة أخرى، وأصبحت زيارتها لا تقتصر على كسب الثواب من جراء الصلاة فيها فحسب، بل هدفت إلى جانب ذلك زيارة المشاهد الموجودة ضمنها، وتلك التي حولها في مواقع فلسطين الأخرى. وخير ما مثل حدة الشوق إلى زيارتها مسلك ابن جببر الأندلسي، الذي قال عنه المراكشي: "ولما شاع الخبر المبهج للمسلمين جميعاً حينئذ بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب. وكان فتحه يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة. وكان ذلك من أقوى الأسباب، التي بعثته على الرحلة الثانية. فتحرك من غرناطة أيضاً يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمئة. قال: وقضى الله برحمته لي بالجمع بين زيارة الخليل عليه السلام وزيارة المصطفى وزيارة المساجد الثلاثة في عام واحد...^{٣٨}" وقام خلال ذلك بمدح صلاح الدين الأيوبي بشيء من الصدق والأمانة، وكان محقاً ومصيباً في ذلك، انطلاقاً من المهمة الجليلة، التي تصدى لتنفيذها صلاح الدين، والتي تتجلى بالسعي الحثيث الصادق من أجل رد عادية الصليبيين وتحرير ما اغتصب على أيديهم من أرض العرب والإسلام، وبخاصة مدينة بيت المقدس^{٣٩}، وكما كان الحال في زمن البوريين والزنكيين والأيوبيين، فإن الأمر لم يتبدل في زمن المماليك. فقد ظل الأندلسيون والمغاربة في مقدمة المتحمسين للدفاع عن أرض العرب في الشام ومصر وكرامتهم ضد الصليبيين وغيرهم. والأمثلة كثيرة في هذه الفترة، نذكر منها على سبيل المثال حادثة وقعت في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م عندما هاجم الإفرنج مدينة بيروت. فعلى أثر اتصال المسؤولين عن إدارتها مع نائب دمشق بقصد المساعدة لحمايتها والدفاع عنها، تذرع بأنه يحتاج إلى أمر سلطاني، فقام بعض المتنفذين من المماليك بدعوة الناس للتطوع من أجل الجهاد، فكان في مقدمة الذين استجابوا لهذه الدعوة، القاضي المالكي آنذاك مع مجموعة كبيرة من الأندلسيين والمغاربة الموجودين بدمشق^{٤٠}.

وفهم للوهلة الأولى من كل ما تقدم من أمثلة ووقائع، أن اشتراك الأندلسيين والمغاربة كان رهناً بمداهمة بلاد الشام ومصر من قبل الجيوش الغازية المعتدية، بحيث يشتركون لفترة معينة وينصرفون. لكن الحقيقة كانت غير ذلك، فمن خلال الأمثلة يتبين أنهم انخرطوا في صفوف الجيش النظامي كمتطوعين ومحترفين للعمل العسكري، مثلهم في ذلك مثل أبناء البلاد الأصليين تماماً. والقاضي محمد بن محمد الدمشقي المالكي الملقب بعلم الدين القفصي ووالده خير مثال على ذلك. فقد

كان عمله الرئيس قبل تسلمه القضاء في عدة مدن شامية كحلب ودمشق وحماة، كان جندياً في الجيش المملوكي، وكذلك الأمر بالنسبة لوالده^{٤١}.

أما الوجه الثالث لمشاركتهم وإسهامهم في الدفاع والذود عن حياض مصر وبلاد الشام، فقد تجلّى بتقديم الأموال من أجل تجهيز المقاتلين بالسلاح والعتاد وما إلى ذلك. مثال ذلك: محمد بن محمد أبو الوليد التجيبي الأندلسي إمام محراب المالكية المتوفى بدمشق سنة ٧١٨هـ/١٣١٩م. والذي يقول عنه ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة: "... وكانت له عدة كاملة من السلاح والخيول أعدها للغزاة من ماله...^{٤٢}". لذلك فليس غريباً أن يكون جزءاً كبيراً من تصرفات الحكام المماليك الإيجابية تجاه الجالية الأندلسية المغربية في الشام ومصر، مثل تخفيض الضرائب على البضائع التجارية، التي يأتي بها إلى الشام ومصر التجار المغاربة والأندلسيون وغيرهم، تكون بسبب موقفهم العسكري ضد الأعداء.

وقد أسهم الأندلسيون والمغاربة في الدفاع عن الشام على وجه آخر، يختلف عن الوجوه سابقة الذكر من حيث الأسلوب. وقد تجلّى هذا الوجه بالدبلوماسية الفذة، التي قدر لها أن تنجح وتثمر نتائجها في عدة مناسبات، ولكن ليس مع الصليبيين، إنما مع تيمورلنك وجيشه، كما فعل عبد الرحمن ابن خلدون، الذي تمكن بعد لقائه مع تيمورلنك من إنقاذ دمشق من المزيد من التدمير والقتل وتشريد الناس^{٤٣}. وقد سقت هذا المثال في هذا الميدان على الرغم من حدوثه بعد رحيل الصليبيين عن المنطقة بمئة عام، لذلك على مدى حرص الأندلسيين والمغاربة على أرض المشرق العربي في كل زمان ومكان تعرضت فيهما للخطر.

وقد ساهموا في وجه آخر لا يقل أهمية عن بقية الوجوه، تجسد في تحديد الخطر الذي يهدد المنطقة العربية، التي تضم جناحي الوطن العربي الكبير (المغرب والمشرق) فقد توصل بعض خطباء جامع بيت لهيا القريبة من دمشق من الأندلسيين والمغاربة إلى تحديد أبعاد الغزو الفرنسي المتوجه ضد العرب المسلمين ضمن ثلاث شعب، إلى الأندلس وصقلية والشام^{٤٤}. كما رسم طريق الخلاص بالجهاد الذي دعا إليه الله ورسوله في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وأكمل غيره البحث عن طريق الخلاص بالدعوة لإزالة الأسباب التي أدت لنجاح الغزو على المستويين السياسي والمذهبي^{٤٥}.

وبالجملة فقد بدا واضحاً، أن الأندلسيين والمغاربة، سواء منهم الذين أقاموا بصورة دائمة في مصر والشام، أو الذين بقوا لفترات متفاوتة خلال القرون الأربعة الأخيرة من العصور الوسطى موضوع هذا البحث، لم يبقوا مكتوفي الأيدي حيال ما يجري من أحداث ومعارك، كان القصد منها السيطرة على هذه البقعة من أرض العرب والإسلام. وقد سطوروا من خلال اشتراكهم بالدفاع عنها أنصع الصفحات وأنقأها. فبرهنوا بذلك على صدق انتمائهم العربي الإسلامي. فلم تقعدهم الشيوخة أو التقدم في السن، ولم يرهبهم الموت ولا زوال المناصب الإدارية، أو فقدان الأموال، أو أي شيء

من هذا القبيل، فاستحقوا بذلك كل تقدير واحترام. ويمكن القول، أنهم كانوا في أحيان كثيرة أشد اندفاعاً وحرصاً من أهل البلاد الأصليين. وهذا ما جعل نور الدين زنكي يهتم بأمر الأندلسيين والمغاربة القادمين إلى المشرق إلى حد وصل إلى أنه فضلهم على أهل البلاد المحليين. إذ يروي ابن جبير عنه، أنه اهتم بفك الأسرى منهم قبل أسرى الشام بقوله: "وكان نور الدين رحمه الله نذر في مرضة أصابته تفريق اثني عشر ألف دينار في فداء أسرى من المغاربة، فلما استئبل من مرضه، أرسل في فدائهم فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة، وكانوا من حماة من جملة عمالته، فأمر بصرفهم وإخراج عوض عنهم من المغاربة وقال: هؤلاء يفتكهم أهلهم وجيرانهم، والمغاربة غرباء لا أهل لهم"^١ وكذلك فعل صلاح الدين الأيوبي ومن خلفه من أولاده وأقربائه ومن المماليك"^٢ وكذلك فعلت بعض النساء، وبعض التجار من الأغنياء والأثرياء، نذكر منهم نصر بن قوام، وأبا الدر ياقوت مولى العطاقي، وكانا من أشهر تجار الساحل الشامي، وقد قاما بافتكاك عدد كبير من أسرى المغرب والأندلس بأموالهم الخاصة، وأموال ذوي الوصايا، لأنهما اشتهدا بأمانتهما وتقتهما وبذلها الأموال في هذا السبيل النبيل"^٣.

□□□

□ الحواشي :

- ١ - أحمد بدر - مقرر المغرب والأندلس - طبعة جامعة دمشق ١٩٧٤-١٩٧٥ ص ١٥٣
- ٢ - المقرئ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٢ تحقيق إحسان عباس طبعة بيروت ١٩٦٨ ص ٣٤.
- ٣ - رحلة ابن جبير الأندلسي طبعة بيروت ١٩٥٩ ص ٢٥٠ وانظر أيضاً ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٩ طبعة بيروت ١٩٦٦ ص ٢٨٩
- ٤ - منامات الوهراني ومقاماته ورسائله تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نقش طبعة القاهرة ١٩٦٨ ص ١٠.
- ٥ - الوهراني المصدر السابق ص ١١
- ٦ - نفع الطيب - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٠ وانظر أيضاً ابن فرحون - الدياج المذهب في معرفة أعيان المذهب طبعة أولى مصر ١٣٥١ هـ ص ٣٢١-٣٢٢
- ٧ - محمد ليب البتوني - رحلة الأندلس طبعة أولى مطبعة الكشكول ١٩٢٧ ص ١٣٧.
- ٨ - المقرئ - المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٨
- ٩ - انظر تفصيل ذلك في كتاب نفع الطيب للمقرئ ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٠٩
- ١٠ - انظر بعض هذه الأحاديث في ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق - مجلد (١) تحقيق صلاح الدين المنجد طبعة دمشق ١٩٥١ ص ١٣٧ - السلمي - ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام - صححه ونشره أحمد سامح الخالدي طبعة القدس ١٩٤٠ ص ١١-
- ١١ - من أراد الإطلاع على تفصيلات بهذا الشأن فليراجع البدري - نزهة الأنام في محاسن الشام طبعة مصر ١٩٤٧ - الربيعي فضائل الشام ودمشق تحقيق صلاح الدين المنجد طبعة دمشق ١٩٥٠ - السلمي - ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام صححه ونشره أحمد سامح الخالدي طبعة القدس ١٩٤٠.
- ١٢ - ابن القلاسي - ذيل تاريخ دمشق طبعة بيروت ١٩٠٨ ص ٣٠١.

- ١٣ - صلاح الدين المنجد- المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين طبعة أولى بيروت ١٩٦٣ ص ٢٢.
- ١٤ - رحلة ابن جبير ص ٢٥٧.
- ١٥ - ابن بطوطة الرحلة ص ٢٠٥-٢٠٦.
- ١٦ - رحلة ابن جبير ص ٢٥٩.
- ١٧ - رحلة ابن جبير ص ٢٥٨ وانظر عن المنجزات العلمية الكثيرة التي شجعت الأندلسيين والمغاربة للإقامة في المشرق.
- ١٨ - الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٨٥.
- ١٩ - ابن القلاسي ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٨ ياقوت الحموي معجم البلدان ج ١٥ ص ٢٧٧-٢٧٨ مادة فندلاو- العدوي الزيارات تحقيق صلاح الدين المنجد طبعة دمشق ١٩٥٦ ص ٦٢-٦٣.
- ٢٠ - سبط ابن الجوزي- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - القسم الأول من الجزء الثامن- طبعة أولى حيدر آباد الدكن الهند ١٩٥١ ص ٢٠٠-٢٠١ وانظر عنه أيضاً أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج ١ ص ٥٢.
- ٢١ - الذهبي- العبر في خبر من غير ج ٤ تحقيق صلاح الدين المنجد طبعة الكويت ١٩٣٦.
- ٢٢ - انظر رحلة ابن جبير ص ٢٧٤.
- ٢٣ - العماد الكاتب الأصفهاني- الفتح القسي في الفتح القدسي تحقيق محمد محمود صبح بدون ذكر الطبعة ولا تاريخها ص ٥٠٢.
- ٢٤ - المقرئزي (أحمد بن علي) السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزء الأول القسم الأول تحقيق مصطفى زيادة طبعة القاهرة ١٩٦٤ ص ٦٤.
- ٢٥ - أبو شامة - الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ تحقيق محمد حلمي أحمد طبعة القاهرة ١٩٥٦ ص ١٣٧.
- ٢٦ - الخبلي (مجير الدين) الآس الجليل في تاريخ القدس والخليل. الثاني بدون ذكر اسم الطبعة ولا تاريخها ص ٣٩٧.
- ٢٧ - Encyclopidia of Islam - vol.I.P. 797-798
- ٢٨ - أبو شامة - الذليل على الروضتين- عني بنشره عزت العطار الحسيني طبعة أولى ١٩٤٧ ص ١٥٩.
- ٢٩ - القفطي (علي بن يوسف) إخبار العلماء بأخبار الحكماء - عني بنشره محمد أمين الخانجي طبعة مصر ١٣٢٦ هـ ص ٢٦٤ - المقرئ المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٣ ابن قاضي شهبة طبقات اللغويين والنحويين مخطوطة الظاهرية ص ٣٤٧ - ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣ تحقيق إحسان عباس طبعة بيروت ١٩٧٠ ص ١٢٣-١٢٤.
- ٣٠ - المقرئ - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٤.
- ٣١ - الصفدي (صلاح بن أيك) الوالي بالوفيات ج ٤ طبعة دمشق ١٩٥٩ ص ٢٤.
- ٣٢ - ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ الطبعة الأولى المطبعة البهية ١٨٨٢ ص ١٥٥.
- ٣٣ - ابن أبي أصيبعة المصدر نفسه ص ١٥٧.
- ٣٤ - ابن سعيد المغربي - الفصول البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة - تحقيق إبراهيم الأبياري طبعة مصر بلا تاريخ ص ١٠٤-١٠٦ ابن أبي أصيبعة المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٧ المقرئ المصدر السابق ج ٣ ص ٣٩٢.
- ٣٥ - ابن أبي أصيبعة - المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٣.
- ٣٦ - انظر عن ذلك رحلة ابن جبير ص ٢٧٠ وما بعدها.
- ٣٧ - انظر جملة من هذه الأحاديث مجير الدين الخبلي - الآس الجليل في تاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٢١١ وما بعدها - الربيعي - فضائل الشام ودمشق طبعة دمشق ١٩٥٠ ص ١٤- ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق مجلد ١ طبعة دمشق ١٩٥١ ص ١٣٧ - السلمي- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام طبعة دمشق ١٩٤٠ ص ١١.
- ٣٨ - المراكشي - الذليل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني تحقيق إحسان عباس طبعة بيروت ١٩٦٥ ص ٦٠٥-٦٠٦.

- ٣٩ - المقرئ - المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨٨ - المراكشي - الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني ص ٥٩٩.
- ٤٠ - ابن حجر العسقلاني - إنباء الغمر بأنباء العمر ج ١ تحقيق حسن حبشي طبعة القاهرة ١٩٦٩ طبعة القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٧.
- ٤١ - ابن حجر العسقلاني إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٥٢ تاريخ ابن قاضي شهبة مجلد ١ ص ٥٩ و ١٨٢ و ٢٦٨ السنخاوي (محمد بن عبد الرحمن) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج ١٠ طبعة بيروت بدون تاريخ ص ١٣.
- ٤٢ - ابن حجر العسقلاني - الدرر الكامنة ج ٣ طبعة أولى حيدر آباد الدكن ١٣٤٩ هـ ص ٣٥٠-٣٥١.
- ٤٣ - محمود الباجي - عبد الرحمن بن خلدون طبعة تونس جمعية الاتحاد الصفاقسي الزيتوني ص ٥٨.
- ٤٤ - شاعر مصطفى - مجلة كلية الآداب بجامعة الكويت - العدد ١ ص ١٩٧.
- ٤٥ - القاضي عياض - ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج ٣-٤ تحقيق أحمد بكير محمود طبعة بيروت وطرابلس ليبيا بدون تاريخ للطبعة ص ٣٠١ وما بعدها. أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين ص ٢٤.
- ٤٦ - رحلة ابن جبير ص ٢٥٧.
- ٤٧ - المقرئ - المصدر السابق ج ٣ ص ٣٩١.
- ٤٨ - رحلة ابن جبير ص ٢٨٠-٢٨١.

□□□